جامعة يحيى فارس المدية
مخبر اللغة وفن التواصل (م. ل. ف. ت)

Université Yahia FÈRES Médéa
Laboratoire de langue et art de la communication (L.L.A.C)

مجلة التواصلية

رقم الايداع القانوني: ر د م د 2437-0894

رقم الايداع بالمكتبة الوطنية: 2015-5845

ر ت م د إ: 6202-537X

مظاهر الزهد والتعلّق الدنيوي في شعر نظامي كنجوي وناصيف اليازجي (دراسة مقارنة)

Aspects of asceticism and life attachment in the poetry of NizamiKanjawi and Nasif Al-Yaziji (comparative study)

حسين سليمي جامعة خليج فارس؛ إيران

nadinebrahim@hotmail.fr

رضا قاسمي جامعة آزاد شهركرد؛ إيران

ghasemi.reza52@yahoo.com

تاريخ الإرسال:	تاريخ القبول:	تاريخ النشر:
2020-07-11	2020-09-22	2020-12-25

المرجع: حسين سليمي، رضا قاسمي، « مظاهر الزهد والتعلّق الدنيوي في شعر نظامي كنجوي وناصيف اليازجي (دراسة مقارنة)»، التواصلية، المجلد: 06، العدد: 18، 25 ديسمبر 2020، ص ص: 137 – 174.

https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/294

مظاهر الزهد والتعلّق الدنيوي في شعر نظامي كنجوي وناصيف اليازجي (دراسة مقارنة)

Aspects of asceticism and life attachment in the poetry of NizamiKanjawi and Nasif Al-Yaziji (comparative study)

حسين سليمي

جامعة خليج فارس؛ إيران

رضا قاسمي

جامعة آزاد شهركرد؛ إيران

الملخّص:

يعدّ الأخلاق ووظائفه من أهمّ المضامين في الأدبين الفارسي والعربي؛ فإنّنا نلحظ في هذه الآثار أكثر ما نلحظ الموضوعات الأخلاقية والتعليمية المختلفة. **نظامي كنجوي** من أبرز الشعراء الإيرانيين في التطرّق إلى المضامين والموضوعات الأخلاقية والتربوية النابعة عن التعاليم الأخلاقية والإنسانية في الإسلام وهذا يفسح لنا مجالاً كبيراً في الدراسة. **ناصيف اليازجي** أيضاً من أعظم الشعراء المسيحين العرب الّذي نشأ منذ الصغر مع القرآن الكريم ونهج البلاغة وتعاليم الأئمة المعصومين؛ فنرى ديوانه زاخر بالمضامين الأخلاقية والإنسانية، بحيث أُطلق عليه "شاعر الحكمة". "الزهد والتعلّق الدنيوي" من أهم الموضوعات وأكثرها تأثيراً بين الموضوعات الأخلاقية والتعليمية الأخرى، بحيث كان لهذا الموضوع صدى واسعاً في النصوص الأدبية الفارسية والعربية. تتطرّق هذه المقالة إلى موضوع "مظاهر الزهد والتعلّق الدنيوي" في أثرين متميّزين في الأدبين الفارسي والعربي في مجال الأخلاق؛ أي: "مخزن الأسرار " لنظامي كنجوي و "ديوان ناصيف اليازجي" وذلك بالاعتماد على المنهج التحليلي والإتيان بالنماذج التطبيقية. تظهر لنا من خلال النتائج بأنّ الشاعرين قد ركّزا أكثر ما ركّزا على بيان التعاليم الأخلاقية؛ خاصّة في مجال "الإقبال إلى الدنيا والإدبار عنها" ولم يغفلا عن مدح هذين الصفتين الإنسانيتين وقد ظلّا يذكّران المتلقّي بمحاسنها ومساوئها الدنيوية والأخروية؛ وقد ظهر كلّ ذلك بعد العناية باللطائف اللغوية والبلاغية. أمّا السمة المشتركة الّتي تجمع ما بين الشاعرين؛ ن**ظامي** و**اليازجي** فهي مستوى تأثرهما بالقرآن والروايات الإسلامية من حيث

تطرّقهما إلى موضوع " الزهد والتعلّق الدنيوي".

الكلمات المفتاحية: الأدب التعليمي، الزهد، التعلّق الدنيوي، ناصيف اليازجي، نظامي كنجوي.

Summary:

Morals and their functions are among the most important topics for Persian and Arabic literature. Nizami al-Kanjawi is one of the most famous Iranian poets dealing with ethical and educational issues which are emanated from the moral and human principles of Islam. Nassif Al-Yaziji is also one of the greatest Arab Christian poets who arose from childhood with Qur'an, rhetorics and the teachings of the infallible imams; as a result, his collection is rich in moral and human issues, so he was called him "a poet of wisdom ".

Asceticism and life attachment are among the most important and influential topics which have a wide echo in the Persian and Arabic literary texts. This article deals with the aspects of asceticism and life attachment in two distinct works in both Persian and Arabic literature, that is: Nizami Al-Kanjwi's "The storehouse of secrets" and Naseef Al-Yaziji's poetry collection (Diwane). We use the analytical method and practical samples. The results showed that the two poets have focused more on moral teachings; especially when speaking about loving life and taking far position from it. They have always reminded the recipient of their advantages and disadvantages. The common feature that combines the two poets; Nizami and Al-Yazigi is being influenced by Qur'an and Islamic narratives.

Key words: educational literature, asceticism, life attachment, Nassif Al-Yaziji, Nizami Al-Kanjawi.

1. المقدّمة

1-1. الأخلاق لغةً:

الأخلاق، جمع "خُلُق" وبمعنى الطباع والسجايا. قد اتّفقت كتب اللغة في تعريفها لكلمة "خُلُق" وقد ظهرت تعاريف متشابهة لهذه الكلمة في المعاجم اللغوية:

- **لسان العرب:** «الخُلُقُ: بِضَمِ اللّام وسُكونها: وهُو الدّين والطَّبع والسجيّة.»[1]

- **اقربا لموارد:** «(الخُلقُ والخُلُق) كعنق: السَجية . الطَّبع . والمُرُوّة . وَالعَادَة . وَالدّين ومِنهُ فِي القُرآن «اِن هذا اِلاّخُلُق الاَوّلين[2]».

- **كشّاف اصطلاحات الفنون:** «الخُلقُ: بِضَمَّتين وسُكون الثّانى فِى اللُغة، العَادَة، وَالطَبيعة، وَالدّينُ وَالمُرُوة.»[3]

- **كتاب "لغتنامه دهخدا** ": «الأخلاق لغة بمعنى الطباع ومفردها "خُلُق"، ولكلمة "خُلُق" معان متعدّدة، منها: الجوهر، الطبع، السجيّة، المزاج، الطبيعة،

---

[1] أبو الفضل جمال الدين محمد الأفريقي المصري، اللغة العربية، ج 10، دار الصدر، بيروت، لبنان، ط1، 1910، ص 86.

[2] سعيد الشرتوني اللبناني، أقرب الموارد، ج1، منشورات مكسبة آية الله العظمى مرعشي النجفي، قم، إيران، 1403، ص297.

[3] محمد علي التهانوي، اكتشاف المصطلحات الفنية والعلمية، مجلدان، (دون اسم طبعة)، بيروت، لبنان، ط1، 1416، ص 762.

المشرب والسيرة[1].»

- **كتاب "فرهنگ اصطلاحات عرفانی"**: «"الخُلُق"؛ بمعنى الملكة الّتي تعدّ المصدر الأساسي لظهور الأفعال دون أي فكر أو رويّة مسبقة وذلك بصورة سهلة ودون تكلّف. ينقسم الخُلُق إلى قسمين: الفضيلة الّتي تعدّ كمالاً والرذيلة الّتي تعدّ ضمن النقصان. ترجع جذور الأخلاق الحسنة إلى طهارة النفس أو العادة الحسنة أو العقل أو الإيمان أو التوحيد. وترجع جذور الأخلاق السيئة إلى خبث الجوهر الإنساني والفساد القائم في السجايا أو العادات السيئة والتجاوز في شرّ الكلام والحديث، ويقول **عبد الرزاق الكاشاني**: مراتب الخُلُق ثلاث) المرتبة الأولى: أن يتعرّف المرء على مقام الإنسان، والمرتبة الثانية: تحسين خُلُقنا مع الله. والمرتبة الثالثة: الاجتهاد في كسب الخُلُق الحسن[2]».

- **كتاب أخلاق ناصري**: «تعدّ صناعة تهذيب الأخلاق من أشرف الصناعات. الصناعة الّتي تقدر على تحويل أدنى الموجودات قدراً ومنزلة إلى أشرف المخلوقات؛ يا لها من صناعة شريفة[3]!».

- **تهذيب الأخلاق**: «الخُلقُ حال لِلنَفس داعِية لَها اِلَى اَفعالها مِن غَير فكر

---

[1] علي أكبر دهخدا، القاموس، مطبعة جامعة طهران، طهران، ط1، ذيل كلمة "خلق".

[2] سيد جعفر سجادي، قاموس المصطلحات والتفسيرات الغامضة، طهوري، طهران، ط7، 1427، ص 358.

[3] خواجه نصير الدين الطوسي، أوصاف الأشراف: تحرير سيد مهدي شمس الدين، منظمة الطباعة والنشر بوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران، إيران، ط1، 1410، صص 106و107.

ولاروية[1]».

1-2.مفهوم الأخلاق اصطلاحاً:

- **لسان‌العرب:** «[الخُلقُ] وحَقيقَتَه أَنَّه لِصُورَة الإنسان الباطنه وهِي نَفسَه وأوصافها ومَعانيها المختصةُ بِها بِمَنزلة الخَلق لِصوُرَتَة الظاهِرَة واَوصافُها ومَعانيها ولهما اَوصاف حَسَنَة وقَبيحَة، والثَّوابُ والعِقَاب يتَعَلّقان بِأوصَاف الصُّورَة البَاطِنة أكثَر مِمّا يتَعَلّقان بِأَوصَاف الصُورَة الظّاهِرَة[2].»

- **كتاب لغت نامه دهخدا:** «أقسام الفلسفة العمليّة: هي الأخلاق، العلوم السيئة والسجايا الطيّبة، وهو ما يعبّر عنه بتدبير الإنسان؛ سواء أنفسنا أو قصدنا شخصاً آخر **(دهخدا)**»

- **كتاب "دائرة المعارف فارسي ":** «الأخلاق يعنى دراسة وتحديد مكانة الأعمال الإنسانية على ضوء الأصول الأخلاقية».

- كتاب "اقرب الموارد": «هُوَ عِلمُ السُّلوُك وَهُوَ مِن اَنواعِ الحِكمَةِ العَمَليّة وَيسَمّى تَهذيبُ الاَخلاقِ وَالحِكمَة الخَليقة أيضاً[3].»

- **كتاب "اخلاق ناصرى":** «الأخلاق، علم يتناول كيفية كسب الخُلُق؛ بحيث

---

[1] أحمد بن محمد المسكوية، تهذيب الأخلاق وتطهير الاعراق، منشورات بيدار، قم، ط3، 1411، ص51.

[2] أبو الفضل جمال الدين محمد الأفريقي المصري، اللغة العربية، مصدر سبق ذكره، ج 10، ص 86 – 78.

[3] سعيد الشرتوني اللبناني، أقرب الموارد، مصدر سبق ذكره، ج1، ص 297.

تتّسم أفعال الإنسان وأحواله الصادرة بإرادته بطابع حسن ومحمود[1]».

- **جامع السعادات:** «علم الأخلاق هو العلم الّذي يحمل في طيّاته من الصفات الّتي تنأى بالإنسان عن الهلاك وتهديه نحو النجاة وتعلّمه كيفية الاتّصاف والتخلّق بالصفات الهادية والتحرّر من الصفات الّتي تجرّ الإنسان إلى الهلاك[2]».

1-3. خلفية الأخلاق والأدب التعليمي:

"الأخلاقيات"؛ من الأقسام المهمّة في الأدب البهلوي؛ بحيث إنّ المجموعة الوعظيّة هي الّتي تميّز هذا النوع من الأدب، وهذه المواعظ في أغلبها ترتبط بالأدب الشفهي وهي انتقلت من جيل إلى جيل مع بعض التغييرات الطارئة عليها. كتاب "دينكرد السادس" من أهمّ المواعظ البهلوية وأبسطها. تعدّ ذكرى **بزرجمهر الحكيم** من جملة المواعظ البهلوية.

«أغلب هذه المواعظ، هي في الواقع كلمات قصيرة، لطائف وقصص أخلاقية تتّسم بالطابع التطبيقي وقد لقت بعد الإسلام عناية واهتماماً كبيراً من قِبل العلماء الإيرانيين المسلمين، وقد تُرجمت كتب الأدب والأخلاق والتأريخ إلى اللغة

[1] خواجه ناصر الدين الطوسي، أوصاف الأشراف، مصدر سبق ذكره، ص 48.

[2] ملا احمد نراقي، جماعة السعادات، ج1، ترجمة: سيد جلال الدين مينوي، حكمت، لا مكان، ط4، 1407، ص 34 – 35.

العربية[1]». «"اندرزنامه **اردشير بابكان**" من أنواع الأشعار الوعظية الّتي تمّ كتابتها على يد "**اردشير بابكان**" حول موضوع إدارة الحكومة والسياسة، وقد قدّم من خلالها بعض الوصايا إلى الحكّام والملوك من بعده[2]». الإنسان مسؤل عن أعماله في المذهب الزرادشتي (الألفية الأولى قبل الميلاد)، والملائكة مسؤولة عن تسجيل أعمال الإنسان. فهذا الدين قائم على ثلاثة أصول رئيسة تمثّل أساس التعليم الأخلاقي للإنسان: "الفكر الجيّد"، "القول الجيّد" و"الفعل الجيّد".

دين الإسلام هو الدين السماوي الخاتم الّذي دعا رسوله إلى التوحيد بشعار "لا اله إلا الله" وعلّم مكارم الأخلاق وبيّن أنّه يهدف من رسالته "إكمال مكارم الأخلاق" عند الإنسان؛ فالله تبارك وتعالي قد وصف النبيّ بأنّه صاحب خلق عظيم في قوله: «**اِنّك لعَلى خُلُقٍ عظيمٍ**.» (قلم/4)

علاوة على أنّ موضوع "الأخلاق" يعدّ من الأهداف المهمّة في الرسالة النبوية وقد تمّ الإشارة إلى ذلك في القرآن والأحاديث على نحو مفصّل، فإنّنا نرى تداعياته في الأدب الفارسي أيضاً وكيف أنّه حظى على استقبال ذابال من قِبل العلماء والمفكّرين الإسلاميين والإيرانيين؛ بحيث أنّه تمّ تصنيف بعض الكتب ضمن الفئة التعليمية والأخلاقية، مثل: حديقة **سنايي**، قابو سنامه، كيمياي سعادت ومثل ذلك من الكتب الكثيرة في هذا المجال.

---

[1] أحمد تفضلي، تاريخ الأدب المتقدم من الإسلام، بجهد المعلم، سخان، طهران، إيران، ط2، ص 202.

[2] جاكلين، مقدمة لفلسفة الأخلاق، ج1، ترجمة: سيد أبو القاسم بور حسيني، أمير كبير، طهران، إيران، ط2، 1403، ص 260.

«بصورة عامّة، يطلق الأدب التعليمي على الأشعار الّتي ابتغى صاحبها تعليم الأخلاق والقضايا الدينية الحسنة أو الإرشادات العرفانية أو الحديث في مجال العلوم والفنون المختلفة[1]».وكثيراً من الآثار الفكاهية لها طابع تعليمي أيضاً؛ لأنّها تغيّر نظرة القارئ بالنسبة إلى النّاس والظروف المختلفة[2].

الحكمة والموعظة والأخلاق من الموضوعات الّتي حظت على اهتمام واسع من قِبل الشعراء الإيرانيين في بدايات القرن الرابع؛ بحيث إنّنا نرى أنّ الشاعر "**رودكي**" ينظم "كليلة ودمنة "؛ أي الكتاب الّذي يحفل بالمفاهيم الأخلاقية والحكمية. علاوة على ذلك نرى بأنّ الشعراء أمثال "**شهيد البلخي**"، "**دقيقي**"، "**أبوشكور البلخي**"، "**الكسايي المروزي**" –من الشعراء البارزين في القرن الرابع– قد تطرّقوا إلى الشعر التعليمي أيضاً، خاصّة كتاب "شاهنامه" للحكيم **فردوسي**؛ مع أنّه كتاب يدخل في دائرة الحماسة إلّا أنّه حافل بالنصائح والمواعظ الأخلاقية[3].«**ناصر خسرو القبادياني** قد نظم عدّة قصائد طوال في مجال الوعظ والحكمة وبيان المعتقدات الدينية والنقد الوثائقي اللاذع والاجتماعي وقد صار من أشهر الشعراء في مجال الشعر التعليمي[4]».«وفي بدايات القرن السادس، فتح **سنايي الغزنوي** باباً جديداً في إنشاد الأشعار الحكمية والعرفانية؛ فقد تناول فيها

---

[1] حسين رزمجو، الأنواع الأدبية وأعمالها بالفارسية، آستان القدس رضوي، مشهد، إيران ، ط1، 1411، ص 77.

[2] سيروس شميسا، الأنواع الأدبية، مطبعة جامعة بيام نور، طهران، إيران، لاتا، ص 171.

[3] حسين رزمجو، الأنواع الأدبية وأعمالها بالفارسية، مصدر سبق ذكره، ص 78 – 79.

[4] المصدر نفسه، ص80.

المعاني الحكمية والعرفانية ببيان وعظي زاخر بالنصائح والمواعظ وذلك في قالب عبارات فصيحة وتعابير متميّزة. فهو قد تطرّق في أثره المعروف المعنون بـ "حديقة الحقيقة " إلى الوعظ والنصيحة، بالإضافة إلى تركيزه على الملاحظات العرفانية[1]».

يعدّ "**نظامي كنجوي**" أفضل شاعر بعد **سنائي**؛ فقد نال شهرة واسعة من خلال إبداعه المنظومات الشعرية العرفانية، الحكمية والاجتماعية. كتاب "مخزن الأسرار " ل**نظامي كنجوي** من أعظم النماذج في هذا المجال. **قوامي الرازي، جمال الدين الأصفهاني، خاقاني الشرواني** و**الأنوري الأبيوردي** من جملة المشاهير الأدباء الّذين اهتموّا كثيراً بالوعظ والحكمة في آثارهم.

وأمّا القرن السابع فإنّنا في مواجهة أعظم شاعر تناول القضايا والمفاهيم الأخلاقية والاجتماعية في إيران؛ أي "**سعدي الشيرازي**" الّذي أولى اهتماماً كبيراً بالوعظ والحكمة في كلامه. فلم يختصر كلامه حول المسائل الأخلاقية والاجتماعية في كتابه "كلستان "، بل أبدع أيّما إبداع في تطرّقه إلى الحكايات والقصص الطريفة في هذا المجال، ونال من النجاح المبهر ما لم يتمكّن أي شاعر إيراني آخر من النيل إليه.

عطّار النيشابوري و**مولوي البلخي** أيضاً يعدّان ضمن كبار الشعراء في هذا العصر؛ وقد نالا مكانة متميّزة من خلال تناولهما للمسائل والموضوعات الوعظية والتعليمية؛ لأنّ الحكايات الطريفة الكامنة في الأدب الفارسي تعدّ ضمن المؤشّرات

[1] حسين رزمجو، الأنواع الأدبية وأعمالها بالفارسية، مصدر سبق ذكره، ص 80.

الأساسية الّتي يعبّر عنها ضمن "المعتقدات" والأدب إحدى أهمّ مظاهر الثقافة العينية.

«كان الشعر التعليمي –في الماضي– يضمن في طيّاته الموضوعات الأخلاقية والموعظة وبيان المضامين الدينية والعرفانية؛ ولكن بعد الثورة الدستورية؛ رافقته المسائل السياسية والاجتماعية أيضاً وأدّى ذلك بدوره إلى إثراء هذا المضمون الأدبي. أمّا الشعراء الّذين تطرّقوا إلى هذه الموضوعات في هذه الحقبة، فهم: **أديب الممالك الفراهاني، على أكبر دهخدا، ميرزاده عشقي** و**فرخي يزدي** الّذين نالوا شهرة واسعة في هذا المجال. نضيف **بروين اعتصامي** إلى هذه القائمة أيضاً؛ فهي أنشدت أشعاراً بديعة ضمن قالب المناظرة وتطرّقت إلى بيان المسائل الاجتماعية، الأخلاقية والسياسية بشكل منظوم[1]».

يجدر بنا الإشارة إلى أنّ «الأدب الفارسي النثري حافل بأنواع الأعمال الأدبية القيّمة في المضمون الحكمي والأخلاقي. من جملة الكتب النثرية المتميّزة في مجال الأخلاق يمكن الإشارة إلى: "جاويدان خرد" لـ **أبوعلي مسكويه**، "قابوس نامه" لـ **أمير عنصرالمعالي كيكاووس بن اسكندر**، "سياست نامه" لـ **خواجه نظام الملك الطوسي**، "ترجمة كليلة ودمنة؛ **بهرامشاهي**" على يد **نصر الله بن عبد الحميد المنشي**، "نصيحة الملوك " من تأليف **أبو حامد محمّد غزّالي الطوسي**، "كلستان؛ نظماً ونثراً "؛ لـ **سعدي الشيرازي**، "أخلاق ناصري" لـ **خواجه نصير الدين الطوسي**، "أخلاق جلالي" من تأليف **جلال الدين محمّد الدواني**،"أخلاق محسني "

[1] حسين رزمجو، الأنواع الأدبية وأعمالها بالفارسية، مصدر سبق ذكره، ص 82.

لم**لاحسين واعظ كاشفي السبزواري** وكتاب "معراج السعادة " الّذي ألّفه **ملا أحمد النراقي**[1]».

1-4. موضوع علم الأخلاق؛ هدفه وفائدته:

علم الأخلاق يخوض في مجال النفس الإنسانية الناطقة من حيث اكتسابها للفضائل الأخلاقية أو تلوّثها بالرذائل. فقد جاء في كتاب "أخلاق ناصري": «إنّ موضوع علم الأخلاق هو النفس الإنسانية الّتي تصدر منها الأفعال المحموده والحسنة أو الأفعال القبيحة أو المذمومة –وذلك عن إرادة–[2]». غاية علم الأخلاق هي مساعدة الإنسان في اكتساب الفضائل الأخلاقية والنأي به عن التلوّث بالرذائل وذلك من خلال تقديم المعارف إلى الإنسان. تتجلّى لنا فائدة علم الأخلاق في بلوغ الإنسان للكمال والنأي به عن الشقاء. ولكي يتخلّق الإنسان بالخلق الحسن، يتطلّب منه أن تتشكّل روحه من صفات ثابته في نفسيّته؛ بحيث ترسخ دعائم هذه الصفات في النفس ولا تفنى إلى الأبد. القصد هو أن يربّي ملاكاً في نفسه ويخرج عن البئر الحيواني المظلم وغياهب النفس إلى حيث النقاء والصفاء حتّى يفوق بذلك الملاك ويتجاوز مرتبته ويصل إلى حيث لا يرى أحداً سوى الله. فيجب عليه أن يتخلّق بجميع الصفات المحمودة والسجايا الحميدة. ولكي يتحقّق هذا الأمر، على الإنسان أن يميّز أوّلاً بين الخير والشرّ وبين السعادة

[1] حسين رزمجو، الأنواع الأدبية وأعمالها بالفارسية، مصدر سبق ذكره، ص 237.

[2] خواجة نصير الدين الطوسي، ،اوصاف الأشراف، مصدر سبق ذكره، ص 48.

والشقاء وبين المكارم والرذائل؛ لأنّه «**مَن عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّه**[1].» هاهنا نفتن إلى فائدة علم الأخلاق ومكانته الوجودية، بصفته إحدى المؤشّرات الرئيسة في سعادة البشر. سعادة الإنسان الخالدة والأبدية لها علاقة وثيقة بالابتعاد عن الأخلاق الذميمة والأوصاف الرذيلة وكسب الملكات الحميدة والصفات القدسيّة. وهذا لا يتحقّق طبعاً سوى مع معرفة الفضائل والرذائل الأخلاقية الّتي تم تحديدها لتهذيب النفس في علم الأخلاق.

بما أنّ موضوع علم الأخلاق يدور حول "نفس الإنسان الناطقة"؛ –الّتي تعدّ من أشرف المخلوقات؛– فإذن هذا العلم يحتلّ مرتبة متفوّقة من حيث الأهمية مقارنة مع سائر العلوم الأخرى. ومن منطلق هذه الصفات الحميدة أو الذميمة، يستطيع الإنسان أن يرتقي إلى مرتبه: «**لَولاكَ لمَا خَلَقتُ الأَفلَاك**» أو على العكس من ذلك ينحطّ إلى مرتبة:«**اِنْ هُم اِلاّ كَالأَنعامِ بَل هُم أَضَلُّ سَبيلاً**[2].» أيّ العلوم أجلّ وأشرف من العلوم الّتي تحوّل أرذل الموجودات إلى أشرف الكائنات قاطبة، وتزكّي نفس الإنسان من الصفات الرذيلة وتدعوه نحو الصفات الحميدة؟ «هو علم الأخلاق؛ أي العلم الّذي يتعرّف الإنسان من خلاله على القدرات والمواهب المتعدّدة بالإضافة إلى تعرّفه على فضائل النفس الإنسانية ورذائلها وكيفية إقامة نوع من التوازن بين الأميال المختلفة وبلوغ المسلك المناسب في تربية النفس؛ بحيث يتهيأ للإنسان أن ينال كماله الّذي يستحقّه في الحياة وأن يدفع الموانع الّتي

---

[1] بديع الزمان فروزانفر، أحاديث وقصص مسنافي، أمير كبير، طهران، إيران، ط2، 1422، ص 471.

[2] الفرقان، آيه44.

يجدها في طريقه إلى الكمال، فلا يمكن للإنسان أن يتعرّف على نفسه دون معرفة الأخلاق، ولن يقدر على تربية نفسه تربية إنسانية[1]».من هذا المنطلق، «ولكي ننال التطوّر ونتمكّن من إصلاح المجتمع وننجح في تشكيل مجتمع فاضل وعظيم؛ لابدّ من أن يتعرّف أفراد المجتمع على الصفات والخصوصيات الايجابية والسلبية، وأن يتخلّق جميعهم بالفضائل الأخلاقية وينأون عن الرذائل؛ وبالتّالي سيتمكّن أفراد المجتمع من السير نحو التعالي والعظمة[2].

يرى **لويي بويمان** في كتابه "مقدّمة في فلسفة الأخلاق "؛ بأنّ علم الأخلاق يستغرق أربعة أهداف أو غايات مهمّة وهي:

1. حفظ المجتمع عن الزوال والانهيار
2. إزالة المعاناة الإنسانية
3. المساعدة على النموّ والازدهار الإنساني
4. تقديم حلول للصراعات الناتجة عن الخلاف القائم حول تضارب المصالح[3]».

1-5. أهميّة الأخلاق في نطاق الأدب العربي والفارسي

صار الإنسان كنزاً من الكنوز الّتي يتجلّى من خلالها النور الإلهي وذلك

---

[1] محمد علي السادات، الأخلاق الإسلامية، المركز، طهران، إيران، ط6، 1409، ص 26.

[2] ماجد رشيد بور، أصول الأخلاق الإسلامية، هجرة، قم، إيران، ط1، 1415، ص 11.

[3] لويس بويمان، مقدمة لفلسفة الأخلاق، ترجمة: شهرام أرشدنيجاد، جول، طهران، إيران، ط1، 1419، ص 45.

بفضل ما أوتي من جوهر ثمين في وجوده؛ أي القلب؛ كما قال الله تعالى في سورة الإسراء: «**لَقَد كَرَّمنَا بَنى آدَم**[1]» وكذلك آية: «**وإنّى جَاعِل فِى الأَرضِ خَليفَة**[2]»، وأصبح الإنسان مظهراً لجميع صفات الله وأسماءه الربوبية، فقد أكرمه الله بخلافته على الأرض واستحقّ أن يحمل الأمانة وصفة "أحسن تقويم".

لا يخفى على أحد ما لعلم الأخلاق ومكارم الأخلاق من أهميّة بالغة بين العلوم المختلفة؛ فالعلوم الدنيوية والأخروية مرهونة بهذا العلم. يكفينا قولاً في أهميّة مكارم الأخلاق ما نصّه النبيّ حول هدفه من الرسالة؛ أي تكميله لمكارم الأخلاق؛ فقال (ص): «**إنّما بُعِثتُ لِأُتَمِّمَ مَكارِمَ الأَخلاقِ**»، وقد وصف الله تعالى، النبيّ بأنّه صاحب خُلُق عظيم في قوله: «**إنّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظيم**[3]» علاوه على ما نصّه القرآن حول مسألة الأخلاق، نجد واصايا عدّة من قِبل النبيّ (ص)، الأئمّة (ع) وأولياء الإسلام تحثّ على كسب علم الأخلاق؛ وإنّنا نجد بالتّالي اهتماماً ذا بال من قِبل العلماء، الفلاسفة والمتكلّمين والمتصوّفة بالنسبة إلى هذا العلم، إلى جانب النصوص الأدبية الفارسية الزاخرة بالمضامين الأخلاقية والملاحظات القيّمة؛ سواء في النصوص العرفانية أو الحماسية أو التأريخية.

الأخلاق، ظاهرة تضمن السلامة الاجتماعية في العلاقات الإنسانية في المجتمع؛ وفقدان هذه الظاهرة أو الحدّ منها ستودي بالمجتمع إلى هاوية الهلاك

---

[1] الإسراء، آيه 70.

[2] البقرة، آية 30.

[3] القلم، آية 4.

لامحالة. فالأخلاق والالتزام الأخلاقي من أهم المسائل في المجتمعات الدينية، والأدب الفارسي المتأثّر –وبشدّة– بالمصادر الدينية؛ قد أحدث مجالاً خصباً لطرح المسائل والقضايا المرتبطة بالأخلاق. من هذا المنطلق، كانت ولا زالت "لغة الشعر " هي اللغة الأقدر على بيان الموضوعات والمسائل الأخلاقية.

نشهد صدى واسعاً للأخلاق في الأدبين العربي والفارسي؛ خاصّة في القسم التعليمي منه؛ من هذا المنطلق، "موضوع الأخلاق" من أهمّ الموضوعات الّتي انعكست في مجال الأدبين الفارسي والعربي بصورة مرموقة ومتميّزة. "**نظامي**" من أعظم الشعراء في الفارسية و**ناصيف اليازجي** من كبار الشعراء في اللغة العربية وآدابها قد تطرّقا إلى هذا الموضوع بشكل خاصّ، واجتهدا في الإتيان بأفضل إبداع في هذا المجال.

وهكذا، من المستحسن أن نقوم بدراسة مقارنة لموضوع الأخلاق؛ _بصفته ميراثاً مهمّا في الثقافة الإسلامية العريقة_ في أفكار هذين الشاعرين حتّى يتبيّن لأرباب العلم والأدب، الزوايا الكامنة في هذا الصدد؛ والبشر اليوم يرى نفسه بحاجة ماسّة إلى استيعاب القضايا الأخلاقية أكثر من قبل حتّى يتمكّن في الأخير أن يستفيد من الكنوز الثمينة في هذا المجال.

من الواجب علينا نحن المسلمون أيضاً أن نستوعب الأسس العقلية والمنطقية لنظامنا الأخلاقي حتّى نتمكّن في نهاية المطاف من الدفاع عن أنفسنا بالبرهان والمنطق القاطع تّجاه المكاتب والأنظمة الأخلاقية الأخرى الّتي تدعو إليها البشر في عصرنا الحاضر، ويجب علينا أن نذكر محاسن ذلك الأخلاق ومميّزاته مقارنة

مع سائر الأنظمة الأخرى.

1-6. فلسفة الأخلاق:

«تعني "فلسفة الأخلاق " كما هو باد من عنوانها: دراسة فلسفية في علم الأخلاق[1]» علم الأخلاق الإسلامي هو مجموعة من القوانين والقواعد الّتي تمّ بيانها في القرآن بهدف إرشاد الإنسان وهي مستلهمة في الواقع من حياة النبيّ (ص).

يخاطب القرآن الكريم، النبيّ (ص) بقوله: «**اِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظيمٍ**» والنبيّ (ص) يقول بدوره أيضاً: «**اِنّما بُعِثتُ لِأُتِمَّ مَكارِمَ الاَخلاقِ**». وبعد النبيّ (ص) والأئمّة المعصومين (ع)؛ فإنّ حياة الصحابة أيضاً زاخرة بنماذج من الأخلاق الحسنة.

فإذن، «فلسفة الأخلاق، هي مجموعة من الدراسات الفلسفية حول الأخلاق، وهي تشتمل على مسائل الأخلاق العلويّة والأخلاق المعيارية في آن واحد. على هذا الأساس، ينقسم الأخلاق إلى قسمين: الأخلاق العلويّة والأخلاق المعيارية. وبصورة عامّة: فلسفة الأخلاق علم يتطرّق إلى مبادئ التصوّر والتصديق في علم الأخلاق[(2)]».

«تقييم السلوك، يتطلّب منّا معرفة بالنسبة إلى المعايير والأسس الأخلاقية إلى

---

[1] ر. ف. إنكسون، مقدمة لفلسفة الأخلاق، ترجمة: سهراب ألفينيا، مركز نشر الكتب، طهران، إيران، ط1، 1410، ص 11.

[2] المصدر نفسه، ص 19 – 20.

جانب الدراسة المرتبطة بها لكي تقودنا في الأخير إلى فلسفة الأخلاق[1]». «تهدف فلسفة الأخلاق أوّل ما تهدف إلى السؤال والاستفسار حول فعل ما في مبادئ وأصول الأخلاق[2]». «فلسفة الأخلاق علم يتناول أهم المسائل وأبرزها للولوج في علم الأخلاق وتبيين النظام الأخلاقي الصحيح[3]». من هذا المنطلق، الأخلاق علم يتطرّق إلى تفسير وشرح الأمراض النفسيّة ويجد لها علاجاً مؤثّراً لدفعها حتّى ينال الإنسان معرفة حقيقته بعد أن يبرأ من هذه الأمراض ويتمكّن من المشي في طريق الكمال؛ أي بلوغ السعادة الأبدية. فعندما تتبدّل الصفات الذميمة والسيئة إلى صفات حميدة وحسنة، حينئذٍ يستعدّ الإنسان لتلقّي فيوضات الله تعالى وكراماته.

1-7. الإطلاق ونسبية الأخلاق:

يبدو لنا من ظاهر الكلام في المدارس الأخلاقية القديمة بأنّ الأحكام الأخلاقية هي أحكام مطلقة. فبعض المدارس مثل مدرسة **سقراط، أفلاطون** و**أرسطو** في الأخلاق؛ يرون أنّ خير المعيار الأخلاقي يكمن في السعادة البشرية.

مدرسة **كانْتْ** في الأخلاق؛ من المدارس الأخلاقية الأولى في هذا المجال، فقد تناولت مسألة الإطلاق والنسبية في الأحكام الأخلاقية، فكانْتْ صرّح بإطلاق

---

[1] ر. ف. إنكنسون، مقدمة لفلسفة الأخلاق، مصدر سبق ذكره، ص 15.

[2] ماجد محمدي، النظم الأخلاقية في الإسلام وإيران، كافير، طهران، إيران، ط1، 1420، ص 8.

[3] المصدر نفسه، ص 21.

الحكم الأخلاقي وأعلن صدوره من ناحية العقل العملي. وفي الجهة الأخرى، قد صرّحت بعض المدارس الأخلاقية بنسبيّة الأخلاق. المعتقدون بأصالة المجتمع يرون بأنّ الأخلاق ظاهرة اجتماعية، وأنّ معيار الخير والشر الأخلاقي يعود إلى مستوى قبول الحكم أو رفضه في المجتمع.

«بناء على اعتقادنا، فإنّنا نرفض مبادئ المجتمع وجميع المدارس الّتي تعتقد نوعاً ما بنسبية الأخلاق. أمّا النظريّة المقبولة عندنا في فلسفة الأخلاق، فلها مبادئ عقلية صارمة وهي مبنية على ضوء الأصول الفلسفية والتأكيد على إطلاق الأحكام الأخلاقيّة[1]».

1-8. العلاقة بين الأخلاق والدين:

«الأخلاق لا يستوى دون الاتّصاف بالعقائد الدينية أو على الحدّ الأدنى، دون الاعتماد على الله والقيامة الّتي تشترك فيها الأديان الإلهية، ولابدّ من الأخذ –ولو بقسم وجيز– بالإرشادات الأخلاقية من الدين، ويجب التوسّل أيضاً إلى الوحي لتحديد بعض من الأحكام الأخلاقية[2]».

2– الدراسات السابقة:

هناك دراسات متعدّدة حول صدى المفاهيم التعليمية في شعر **نظامي** و**ناصيف اليازجي**؛ وقد استندنا إلى بعض منها في كتابة هذا المقال أيضاً. من

---

[1] ماجد محمدي، النظم الأخلاقية في الإسلام وإيران، مصدر سبق ذكره، ص 153– 155.
[2] المصدر نفسه، ص 164.

جملة هذه الدراسات والبحوث، يمكننا الإشارة إلى:

"صدى المفاهيم التعليمية في كنوز نظامي الخمسة": **محمّد حسين خان محمّدي، حجّت الله همّتي**، مجلّة "پژوهشنامه ادبيات تعليمى، السنة السابعة، العدد 27، الخريف عام 1394ش، صص 100-126.

الرسائل الإنسانية لمخاوف الإنسان المعاصر عند **نظامي، حسين علي قبادي، مريم صادقي، ناصر نيكوبخت**، "مجلّة كاوش نامه "، السنة 13، العدد 25، 25.

التأثّر التعليمي لروضة الأنوار "**خواجوي كرماني**" بمخزن الأسرار "**نظامي كنجوي** "،**پروين دخت مشهور، رضاخليلى**، "مجلّة پژوهشنامه ى ادبيات تعليمى"، السنة الثامنة، العدد 29، 1395ش، صص 171- 206.

تأثّر **حافظ** ب**نظامي** في الموضوعات الأخلاقية والتعليمية، "مجلّة پژوهشنامه ى ادبيات تعليمى "، السنة السابعة، العدد 26، صص 129 – 156.

"دراسة مقارنة للمضامين الحكميّة في أشعار **ناصيف اليازجي** و**ملك الشعراء بهار**"، **محمد فارغي شاد**، رسالة ماجستير، كليّة الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة **رازي**، 1391ش.

"دراسة في مضامين أشعار **ناصيف اليازجي** الحكمية"، حديث بروين، رسالة ماجستير، جامعة **رازي**، 1390ش.

"تأثّر **ناصيف اليازجي**؛ الأديب المعاصر اللبناني بالقرآن والحكم الروائية؛

خيرية عجرش، كوكب بازيار، "مجلّة لسان مبين"، الدورة الجديدة، العدد الرابع، الصيف 1390ش.

ليس هناك أي بحث مستقل تطرّق إلى موضوع "مظاهر الزهد والتعلق الدنيوي في شعر **نظامي كنجوي** و**ناصيف اليازجي** (دراسة مقارنة)".

3- صورة الدنيا في ميزان القرآن والحديث:

طالما نُعتت الدنيا بعناوين وصفات مذمومة كـ "اللهو واللعب" و"متاع الغرور" من قِبل القرآن الكريم و روايات المعصومين (ع) إلى جانب اتّصافها بصفات مثل: "التجارة، المزرعة، رأس المال و..."؛ وقد اعتبرها الإسلام مكمّلة للحياة الأخروية. فأظهر الله تعالى في قرآنه الكريم، الدنيا على صور وأشكال مختلفة، من ذلك:

«اِعلَموُا أَنَّمَا الحَيوةُ الدُّنيا لَعِبٌ وَلَهُوٌ وَزِينَةٌ وَتَفاخُرٌ بَينَكُم وَتَكاثُرٌ فِى الأَموالِ والأَولادِ كَمَثَلِ غَيثٍ أَعجَبَ الكُفّارَ نَباتُهُ ثُمَّ يهيجُ فَتَرَاهُ مُصفَرّاً ثُمَّ يكوُنُ حُطاماً وَفِى الأَخِرَةِ عَذابٌ شَديدٌ وَمَغفِرَةٌ مِنَاللهِ وَرِضوَانٌ وَمَا الحَيوةُ الدُّنيا اِلَّامَتاعُ الغُرُورِ[1]»

يتّضح لنا سيماء الدنيا ومتاعها الفاني في سائر الآيات القرآنية الشريفة أيضاً، مثل: (توبه/38)، (فاطر/5)، (قيامت/20 و 21)، (بنى‌اسرائيل 18 و19) و (هود/17 و18).

نرى في كتاب "نهج الفصاحة ": **«اَلدُّنيا دَارُ مَن لادَارَ لَهُ وَمالُ مَن لا مَالَ لَهُ ولَهَا يجمَعُ مَن لاعَقلَ لَهُ.»**

---

[1] الحديد، آية 20.

نرى جوهر الدنيا الرئيسي في كلام قيّم أتى على لسان مولى المتّقين "**على (ع)**":«فَإِنّماْ حَذِّرُكُمْا لدُّنْيا فَإِنَّها حُلْوَةٌ خضِرَةٌ، حُفَّتْبِ الشَّهَواتِ، وَتَحَبَّبَتْبِ الْعاجِلَةِ، وَراقَتْبِ الْقَلِيلِ، وَتَحَلَّتْ بِالامالِ، وَتَزَيَّنَتْ بِالْغُرُورِ، لا تَدُومُ حَبْرَتُها، وَلا تُؤْمَنُ فَجْعَتُها، غَرّارَةٌ ضَرّارَةٌ، حائِلَةٌ زائِلَةٌ، نافِدَةٌ بائِدَةٌ، أَكّالَةٌ غَوّالَةٌ، لاتَعْدُو إذا تَناهَتْ إلى أُمْنِيَّةِ أَهْلا لرَّغْبَة فِيها وَالرِّضاءِ بِها أَنْتَكُونَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّياحُ[1]»

نستنتج من خلال دراستنا وتأمّلنا في الآيات القرآنية الشريفة وأحاديث المعصومين (ع) والعظماء، بأنّ للدنيا وجهين: الوجه الأوّل: ممدوح؛ أي ذلك الوجه الخارجي الّذي خلقه الله، فهو جميل ومطلوب؛ مثله مثل جميع مخلوقات الله على وجه الأرض. هذه الدنيا هي الدنيا الواقعية الّتي ذكرت بأحسن الأوصاف، أي كونها مزرعة للآخرة.

الوجه الثاني المذموم: تلك الدنيا الممسوخة والموهومة الّتي سُلبت عنها صفاتها الواقعية وأسند إليها صفات خاطئة لا تمتّ إلى الواقع بشئ. هذه الدنيا، دنيا خيالية لا تليق أن تكون مزرعة ومحلّاً للتجارة. هذه الدنيا تعدّ سجناً للإنسان. جميع الصراعات ترجع إلى هذه الدنيا؛ لأنّها تؤدّي إلى الخداع والغفلة والغرور.

4. صورة الدنيا في شعر ناصيف اليازجي وأفكاره:

ناصيف اليازجي من أعظم الشعراء العرب في الشعر الأخلاقي؛ فجميع لحظات حياته ممزوجة بدراسة القرآن ونهج البلاغة وسائر النصوص الإسلامية

[1] محمد دشتي، نهج البلاغة، الخطبة 111، رامين، طهران، إيران، ط1، 1420، ص 213.

المقدّسة. وهذا الأنس والامتزاج بالقرآن ونهج البلاغة، جعل من شعره زاخراً بالحكم الأخلاقية والدينية المتعالية. يمكننا في هذا الصدد أن نجزم بأنّه لا يمكننا أن نجد في ديوان الشاعر بيتاً أو شطراً شعرياً لم يتطرّق فيه إلى بيان ملاحظة أخلاقية أو فكرة تعليمية. فهو قد صرّح قائلاً: إنّه لا يمكن بلوغ فنّ الكتابة والشعر دون دراسة القرآن ونهج البلاغة وهذا أمر بعيد المنال ويستحيل نوعاً ما.

التعاليم والمضامين الكامنة في هذين الكتابين العظيمين من جهة ومعرفته بالنسبة إلى سيرة **المسيح** (ع) وآراءه وسلوكه، كان له الأثر العظيم في توجّهاته الفكرية بالنسبة إلى الحياة. موضوع "نظرة الشاعر إلى الدنيا وكيفية التعامل معها" من الموضوعات الّتي تأثّر بها الشاعر من هذا المعين الأخلاقي والحكمي العظيم؛ ممّا يجدر بنا مناقشته في هذا الصدد. قد رزق **ناصيف** روحاً متعالية بحيث أنّه يصوّر لنا الدنيا بجميع مساوئها وبشاعتها بصورة بديعة ويعرض لنا صورة تختزن في جوفها الصفات والخصوصيات السلبية الّتي يمكن الاتّعاظ بها في الحياة.

في البيت التالي، عكف الشاعر على وصف الموت واستذكاره وعدم وفاء الدنيا، وبذلك اعتبر جميع النّاس؛ –حتّى الملوك وأصحاب القدرة–، لعبة في يد الدنيا الّتي يجب مغادرتها دون شيء؛ فإذن يجب القيام بالأعمال الحسنة الّتي تعدّ المتاع الوحيد للآخرة:

كُلُ يَروحَ بِلا زادٍ سِوى عَملِ حَتّى المُلوكُ فَلا تَستَثنُ مِن اِرَمِ[1].

[1] ناصيف اليازجي، الديوان، ج1، تح: مروم أيود، دار مارون عايود، بيروت، لبنان، 1403، ص 167.

التعبير بـ "المسافر والقافلة والخان" يتمّ اعتماده غالباً في الأدب العربي والفارسي كعلامة دالة على مفهوم "عدم استقرار الإنسان والدنيا، وهذا تأثّر واضح لكلام أولياء الدين. فقد قال **الإمام علي (ع)** في بيت بديع:

اَلا! اِنَمّا الدّنيا كَمَنزِلِ راكبٍاَناخَ عِشّياَ وَهُوَ الصُّبحُ راحلِ[1].

الإمام (ع) في هذا البيت؛ يرى الدنيا كخان، تستريح فيه النياق ليلاً ومن ثَمَّ تغادر في الصباح ". و**ناصيف اليازجي** أيضاً قد أتى بهذه الصورة متأثّراً بهذه الفكرة نفسها:

هَيهات! مَال دّنيا بّدارِ اِقامَهِا لّا كَما نَزَلَ المّسافِرُ الدّجى[2].

"عدم وفاء الدنيا" من المفاهيم المتداولة في شعر **ناصيف**؛ وهو مفهوم استلهمه الشاعر من الآيات القرآنية والروايات الإسلامية؛ المفهوم الّذي قد عكس صورة مشؤمة في ذهن المتلقّي:

الله اكبَرُ كلُ ما فوقَ الثّريفانِ وَيَبقى وَجهُ رَبِّکَ لاسَوىً[3].

نجد هذا المضمون نفسه في البيت التالي:

---

[1] الإمام علي بن أبي طالب، الديوان المنسوب إلى الإمام علي (ع)، ج1، مدرسة الإيمان، مصر، لا تاريخ، ص 37.

[2] ناصيف اليازجي، الديوان، مصدر سبق ذكره، ج1، ص119.

[3] المصدر نفسه، 119.

طيبت ايّامَ الصّبا لُو انّها دامَت وَ غيرُ الله لَيسَ يَدوم[1].

يرى **ناصيف** بأنّ الدنيا لا تستحقّ الصحبة والرفقة أبداً ولا يجب علينا أن نستعجل في مصاحبتها أو الصداقة معها.

مَن يَصحَبَ الدّهرُ يُعرِفُ حالتَيهِ وَمَنىُ عاجِلُ الامرُ لا يَخلو مِن النِّدم[2].

نجد مفهوم "زوال الدنيا وهوان بيتها" في أشعار **ناصيف اليازجي**؛ بصفته مفهوماً متداولاً في شعره؛ قد اقتبسه الشاعر متأثّراً بالفكرة القرآنية.

فهو يصوّر لنا هذه الخصوصيّة الّتي نجدها في الدنيا ببيان متميّز في قوله:

بَيتُ العَنكِبوتِ اذا رَحِلناى ُعادِلُ بِالخُوَرِنقَ والّسَدير[3].

قد شبّه الله تعالى، الدنيا ببيت العنكبوت في الآية 41 من سورة العنكبوت حتّى يثبت للدنيا قمّة الهوان الّتي تتّصف بها. " **انّ أُوهَنُ البُيوتِ لَبَيتُ العنَكَبوت**".

قد أتى ناصيف بوصف متميّز في البيت الشعري التالي القائل: كون الدنيا سجناً أسرت الإنسانية. قد تأثّر ناصيف أيّما تأثّر بكلام **الإمام الحسن (ع)** البليغ، حيث قال: "الدنيا سجن المؤمن و الموت تحفته"؟

وَنَفسُ المَرءِ فِى الدّنيا اَسيرٌوَ مُوتُ الجِسمِ اِطلاقُ الاسير[4]

---

[1] ناصيف اليازجي، الديوان، مصدر سبق ذكره، ج1، ص 102.

[2] المصدر نفسه، ص273.

[3] المصدر نفسه، ص329.

[4] المصدر نفسه، ص 329.

"الإشارة إلى صعاب الدنيا ومصائبها والأمل في اجتياز الصعوبات"؛ أتت جميع هذه المفاهيم في شعر **ناصيف اليازجي** متأثّرة بالقرآن. فأمّا الله، فيؤمّل الإنسان بزوال صعوبات الحياة في آيات متعددة من القرآن؛ من ذلك الآيه 506 من سورة الإنشراح الّذي قال فيها: **فانّ مع العسر يسرا** " يا " **انَّ مَعَ العُسرِ يُسرا** ".و**اليازجي** قد تأثّر بهذه الفكرة القرآنية:

طالَ ميعادُ بَينِنا وَ نَسينانّ فى دَهرِنا مَعَ العُسرِ يُسرا[1]

يرى **ناصيف** من الدنيا والنظر إلى الأموات والقبور، محلاً للاتّعاظ وكسب المعرفة. وهذه العبرة يجب أن تكون مستمرة في جميع مجالات حياتنا اليومية.

فى كلّ يُومٍ مِنَ المُوتى كُنا عِبَرٌتُبدو وَ يا حَبِذّا لِوئ تَنفَعُ العِبَر[2]

فهو يعدّ "الأموات" من أبلغ المنذرين وأفضلهم في الدنيا:

نَبغى بِلاغُ المُنذرين وَ عِندنامَن كُلُ مَيّتُ قامَ اَبلغُ مُنذِر[3]

"الدنيا الفانية ولزوم النأي عن حبّ الدنيا " من المضامين الأخرى في شعر **ناصيف:**

حَرَصتُ عَلى الحَياهِ وَ تِلكَ رَهنٌلِمَن تَدمى بِاَلحاظِ وَ نِدَمى

---

[1] ناصيف اليازجي، الديوان، مصدر سبق ذكره، ج1، ص 121.

[2] المصدر نفسه، ص277.

[3] المصدر نفسه، ص112.

اِذا اَعـــطَت لِواحِـــظُـــها اَمانـــافَتأخيرُ اِلى اَجلٍ مُسمّىً[1]

وفي أحيان كثيرة، يذكّر **ناصيف** نفسه ومخاطبيه بالصبر أمام شدائد الدنيا وذلك من خلال استلهامه للمضامين القرآنية وكلام كبار علماء الدين.

صَبَرتُ على الدّهرِ مُستَصغِراًلِما فيهِ وَاللهُ مَعَ مَن صَبَر[2]

فهو يرى من خلال نظرة دقيقة نابعة عن معرفة متعالية بأنّ جميع النّاس سيقعون ضحيّة الموت لامحالة، فالإنسان ابن الموت ولا يبغي الإنسان من الحياة سوى التقدّم نحو الموت والفناء. فهو يرى من الحياة الدنيا، حياة عابرة حافلة بالمصائب والصعاب و... ولن تكون الحياة الواقعية سوى في الآخرة.

النّاسُ لِلموتِ لا لِلَعيش قَد وُلِدونُهُو الحياهِ التّى تُرجى و تُعتَبَرُ[3]

أو:

نَعيشُ لِلموتِ اِذ كانَت وَلادِتُنالِلموتِ فَالعيشُ فى ايّامُنا الأُخَرِ[4]

5- صورة الدنيا في "مخزن الأسرار":

إحدى المضامين الأخلاقية المهمّة في كتاب "مخزن الأسرار" هي كيفية معاملة الإنسان مع الدنيا. **نظامي**، يذمّ الغرام الشديد بأمتعة الدنيا التافهة. فالدنيا

---

[1] ناصيف اليازجي، الديوان، مصدر سبق ذكره، ج1، ص67.

[2] المصدر نفسه، ص 283.

[3] المصدر نفسه، ص 319.

[4] المصدر نفسه، ص 124.

ليست إلّا أرملة ومتاع الدنيا فاكهة قد أكلتها الدود؛ فإذن لا تجدي نفعاً أبداً.

كيست فلک؟ پیره شده بیوه ای چیست جهان؟ دودزده میوه ای

جمله دنیا، ز کهن تا به تو چون گذرنده است نیرزد دو جو

انده دنیا مخور، ای خواجه، ور تو خوری، بخش نظامی خیز بریز

3-5/127

الترجمة: ما هي الدنيا؟ فهي تشبه الأرملة. ماذا يعنى العالم؟ تشبه الفاكهة الّتي أكلتها الدود. الدنيا بأكملها لا تساوي شيئاً منذ وجدت حتّى الأن؛ لأنّها ماضية إلى الزوال. لا تحزن على الدنيا يا شيخ قُم؛ فإذا فعلت ذلك وحزنت على الدنيا، فلا تجعل ل**نظامي** من ذلك نصيباً.

«**نظامي** يؤكّد في آثاره –بمناسبات مختلفة– على موضوع "ترك الدنيا واتّباع مسلك الزهد" ويدّعى أنّ هذا هو الطريق الأفضل لكي يتمكّن الإنسان من تنمية قدراته النفسيّة والروحية وأن يتحرّر من سجن النفس ويعرج من عالم التراب إلى عالم ربّ الأرباب؛ كما عرج **المسيح (ع)** من الدنيا إلى السماء عن طريق الزهد وأدبر عن ملذّات الدنيا[1]».

[1] طاهرة خوشحال دستجري، انعكاس مفهوم الصبر القرآني في الأدب الصوفي الفارسي، جامعة أصفهان، أصفهان، إيران، ط1، 1425، ص60

هر چه در این پرده نُه میخی است بازی این لعبت زرنیخی است

باد در او دَم، چو مسیخ از دماغ باز رهان روغن خود زین چراغ

چند چو پروانه پرانداختن؟ پیش چراغی سپر انداختن؟

پاره کن این پرده عیسی گرای تا پر عیسیت بروید ز جای

هر که چو عیسی رگ جان را گرفت از سر انصاف، جهان را گرفت

الترجمة: كل ما نجده في سماء الدنيا ليس في الحقيقة إلّا لعبة في الأموال والثروة. اترك تعلّقك بالدنيا مثلما فعل **المسيح** ذلك؛ ولا تأبه بها وامض إلى أمرك. حلّق عن الدنيا مثل الفراشه، فإلى متى ستبقى –مثل الفراشة– أسير النور والمصباح. فاكسر ستار الدنيا كما فعل ذلك **عيسى**؛ حتّى تتمّكن مثله من التحليق في السماء. فمن تمكّن –مثل **عيسى**– أن ينال المعرفة بالنسبة إلى حقيقة الدنيا، فسيمكنه أن يملك العالم بأسره.

بما أنّ الولع بالدنيا والشغف بتعلّقاتها التافهة؛ هو العامل والسبب في جميع الشقاء الّذي يعاني منه الإنسان على وجه الأرض؛ لذا قد خصّ **نظامي** في كتابه "مخزن الأسرار" عدّة مقالات لموضوع "عدم الالتفات إلى التعلّقات الدنيوية". فقد قال في مقالته الأولى ضمن الحكاية المسمّى بـ "الحاكم اليائس واستغفاره ":

باز هِل این فرش کهنه پوده را طرح کن این دامن آلوده را

يـا چـو غريبـان پـی ره توشـه گيـر يـا چـو نظـامی ز جهـان گوشـه گيـر

الترجمة: اطرح عنك هذه السجّادة الباليه – أي الدنيا، ودع عنك هذا الرداء الملوّث ولا تهتّم به. فأنت يا إنسان أمام طريقين: إمّا أن تسلك طريق المتاع مثلك مثل الغرباء وإمّا أن تنهج منهج **نظامي** في اتّخاذه الخلوة والانزواء.

فقد قال **نظـامي** في مقالته الثانية الّتي تحمل عنوان: "حكاية **أنوشيروان** ووزيره "، بأنّ: الدنيا فانية عابرة ويجب على الإنسان أن يتّعظ ويعرف بأنّه لا يجب عليه بأن يغرم بالدنيا؛ فهي محلّ للعبادة والابتعاد عن الذنوب والمعاصي فقط.

عقيدة **نظامي** هذه تؤكّد لنا مدى إدباره عن الدنيا:

گنبـد گردنـده ز روی قيـاس هسـت بـه نيکـی و بـدی حـق شـناس

طاعت کن، روی بتاب از گناه تـا نشـوی چـون خجـلان عـذرخواه

حاصل دنيـا چـو يکـی سـاعت طاعـت کـن، کـز همـه بـه طاعـت اسـت

الترجمة: الأرض الّتي تدور على أساس المنطق والقياس تعرف أصول الخير والشر. فإذن اسلك طريق العبادة وابتعد عن الذنوب، حتّى لا تُرغم في نهاية المطاف على الأسف والاعتذار. فلذة الدنيا ليست إلّا ساعة أو ساعتين وهي عابرة؛ فإذن كن مطيعاً؛ لأنّ نجاة الجميع في اتّباع الطاعة.

قد ذكر في كتاب "**جاويدان خرد**": «مثل الدنيا مثل الثعبان الناعمة في المسّ والقاتلة في السُمّ؛ فإذن خفّف من ملذّاتك؛ لأنّ القليل منها سيسعفك في

الدنيا[1]».

يعرّف لنا **نظامي** في مقالته المعنونة بـ "في حوادث العالم": بأنّ الدنيا هي العدوّ المنتقم الّتي تقطع رأس الإنسان؛ فالدنيا بعيدة كلّ البعد عن الوفاء. فيعتبر الإنسان، ملكاً حيوانياً وتارة أخرى يراه تراب الفّخارين.

خاک همان خصم قوی گردان است چرخ همان ظالم گردن زن است

صحبت گیتی که تمنا کند؟ با که وفا کرد که با ما کند؟

خاک شد آن کس که برین خاک خاک چه داند که در این خاک

هر ورقی چهره آزاده ایست هر قدمی فرق ملکزاده ایست

الترجمة: التراب هو نفسه الخصم القويّ المقتدر، والدنيا ليس إلّا ذلك الظالم القاطع للأعناق. من يرجو حديث الدنيا؟ مع من تعاملتْ بالوفاء حتّى تفي معنا نحن؟ تحوّل إلى التراب من عاش على الأرض، فالتراب من أين يعلم ماذا بداخله؟ فكلّ قسم من التراب؛ سيماء إنسان حرّ، وكلّ خطوة نحن أمام مفرق رأس إنسان كريم.

وأمّا المقالة السادسة: «فيرى نظامي بأنّ ترك الدنيا وتعلّقاتها يؤدّي إلى نوع من الفناء في الوجود النفسي وبالتّالي يكسب الإنسان العارف، الاستحقاق في النيل إلى مقام القرب الإلهي ويطّلع بعد ذلك على الرموز والأسرار الإلهية؛ وهذا يرجع

[1] أحمد بن محمد المسكوية، تهذيب الأخلاق وتثير العراق، مصدر سبق ذكره، ص 227.

إلى التلاؤم والتجانس الروحي والنفسي مع الأنبياء[1]».

چون گذری زين و سه دهليز لـوح تـرا از تـو بشـويند پـاک

ختم سپيدی و سياهی شوی محـــرم اســـرار الهـــی شـــوی

ســهل شــوی بــر قــدم انبيــا اهــل شــوی در حــرم كبريــا

الترجمة: فما إن تجتاز الدنيا وتعبر من كتل التراب؛ ستنقّى نقاء حسناً. ستحظى بنهاية البياض والسواد؛ وستكون أميناً على الأسرار الإلهية. ستمضي سهلاً على مسلك الأنبياء وستكون أهلاً وصاحباً في حرم الكبرياء.

«قيل لمعروف وهو يعاني من مرض يحتضر فيه: قل وصيّةً. فقال: فإذا متّ فتصدّقوا بقميصي؛ لأنّي سأترك الدنيا عارياً كما أتيتها أوّل مرّة[2]».

يؤكّد **نظامي** في مقالته التاسعة على "ترك الملذات الدنيوية"؛ مع أنّه يدعو الإنسان إلى الحزم وأخذ جانب الحيطة والحذر في المعاملة مع الدنيا، فإنّه ينصح الإنسان بالصبر على صعاب الحياة وذلك بغية الوصول إلى قمّة الإنسانية الجليلة. فهو يحثّ على "الإقبال إلى الدنيا"؛ شريطة اجتهاد الإنسان وسعيه في كسب المعالي والمزرعة الّتي سيحصد نتائجها في الآخرة.

---

[1] طاهرة خوشحال دستجري، انعكاس لمفهوم الصبر القرآني في الأدب الصوفي الفارسي، مصدر سبق ذكره، ص 62.

[2] عبد الكريم بن هوازن قشيري، ترجمة أطروحة القشيري، تح: بديع الزمان فروزانفر، علمية وثقافية، طهران، إيران، ط7، 1422، ص 30.

بگذر از این مادر فرزند کش آنچه پدر گفت، بدان دار هُش

در پدر خود نگر، ای ساده سنت او گیر ونگر تا چه کرد

ما زپی رنج پدید آمدیم نه ز جهت گفت وشنید آمدیم

الترجمة: امض عن الدنيا القاتلة لأولادها، واتّبع ما يقوله الأب؛ فإنّه صادق فيما يقوله. فانظر إلى أبيك يا رجل؛ افعل ما كان يقوم به من أعمال وتأمل فيها. فإنّنا خلقنا لنتعب ونواجه المصاعب؛ ولم نأت للحديث والقول.

ف **نظامي** مثل أب حنون ورؤوف يمنعنا عن الاغترار بالدنيا والولع بأمتعتها الفانية والوقوع في دوّامتها ولا يرى الدنيا جديرة بالصحبة لما رأى منها من غدر وخيانة بالعهد. وهو يشير في مقالته الحادي عشر الّتي تحمل عنوان: "في غدر الدنيا":

کُنج امان نیست در این مغز وفا نیست در این استخوان

نیست یکی ذره جهان پای ز انباری او بازکش

آنچه برین مائده خرگهیست کاسه آلوده و خوان تهیست

هر که درو دید، دهانش هر که بدو گفت، زبانش بسوخت

روزن این خانه رها کن به خانه فروشی بزن، آخر چه سود؟

دست به عالم چه در آورده نز شکم خود به در آورده ای؟

خط بـه جهان دركش و بـى دور شـــو از دور و مســـلم بـــزى

راه تـو دور آمـد و منـزل ره و توشـه منـزل بسـاز (128/ 8-11)

خاصه درين باديه ديو سار دوزخ محـرورکش تشـنه خـوار (1/129)

الترجمة: هذه التربة ليست محلّاً آمناً للحياة، وليس في هذه الهيئة لبّاً من الوفاء. فالدنيا لا تستحقّ هذا الاهتمام والجهد؛ لذا امضِ برجلك عن متاع الدنيا واتركها. فكلّ ما تجده من متاع على هذه المائدة؛ ليست إلّا خيمة تملؤها الكؤوس الملوّثة ولا شيء آخر على المائدة. فمن ألقى نظرة عليها؛ احترق فمه، ومن تحدّث معها: احترق لسانه. فاترك هذا البيت المليء بالغبار؛ وبع البيت وامض عنه؛ فأي منفعة تطلب منه؟ لماذا تمدّ يدك إلى العالم؟ ولماذا تجعل يدك على بطنك هكذا؟ اترك الدنيا وعش سعيداً؛ فابتعد عنها لكي تسلم. فطريقك بعيد ومنزلك حافل بالأوراق الكبيرة (الصعاب الكثيرة)، فعليك إذن أن تجمع المتاع لمنزلك في الآخرة؛ خاصّة في هذه الدنيا الّتي تشبه الصحراء المليئة بالأغوال والنّاس التّي تتّصف فعالهم بالأغوال. وكذلك مثل جهنّم الّتي تقتل المصابين بالحرارة بدل أن تسعفهم بالماء والبرد.

بصورة عامّة، «يرى **الحكيم نظامي** بأنّ الدنيا كبادية تسكنها الأغوال والبرزخ القاتل والسفّاك، ودماء الإنسان نفسٌ لوجوده وأنوار الشمس، ملحة لحياته. مستنقع الدنيا الملحي، شراب الحريصين من النّاس؛ ولكن لا ينال منها سوى

الملح. الدنيّا تقيّد الإنسان بالأغلال والقيود الثقيلة؛ لا يجب أن نغرم بها[1]».

فبالتالي، المحبّون لمتاع الدنيا وزخارفها التافهه؛ فهم في الواقع عباد الشيطان، لأنّه «روي أنّه عندما تمّ سكّ الدينار والدرهم لأوّل مرّة؛ أخذها إبليس ووضعها على نفسه وصار يقول: من أحبّكم؛ فإنّه عبدي[2]».

النتائج:

يعدّ الأدبين العربي والفارسي من أثرى الآداب في العالم من حيث التطرّق إلى المضامين والموضوعات الأخلاقية والتعليمية. فقد ظلّ الشعراء منذ قديم الزمان، يتطرّقون إلى بيان التعاليم الأخلاقية وذلك بأساليب وصور شعرية مختلفة. **نظامي** و**ناصيف اليازجي** من أبرز الشعراء الّذين خاضا في آثارهما الأدبية في مضمار المضامين والموضوعات الأخلاقية والتعليمية وذلك لأسباب مختلفة. **نظامي كنجوي** يُعرف في الأوساط الشعرية أكثر ما يعرف بشعره التغزّلي؛ إلّا أنّ كتابه الثمين "مخزن الأسرار" حافل بأنواع المضامين الحكمية وبيان الموضوعات والتعاليم الأخلاقية.

يرى **ناصيف اليازجي** أنّ اتّباع التعاليم الأخلاقية والدينية هي سبيل الإنسان إلى السعادة والكمال؛ وهذا الأمر يرجع أوّل ما يرجع إلى أنسه مع القرآن ونهج البلاغة؛ فلم يألو الشاعر جهداً في التطرّق إلى بيان الأخلاق والتعاليم الأخلاقية

[1] منصور الثروة، كنز الحكمة في الأعمال العسكرية، أمير كبير، طهران، إيران، ط1، 1411، ص 104.

[2] ملا احمد نراقي، جماعة السادات، مصدر سبق ذكره، ص 69.

في جميع أشعاره؛ فبالتّالي عكف على التذكير بالصفات والتعاليم الأخلاقية بروح سامية ومتعالية.

"الإقبال إلى الدنيا والإدبار عنها" من أهم الموضوعات الّتي تمّ التطرّق إليها –بصورة مكثّفة– في مخزن الأسرار ل**نظامي كنجوي** وكذلك في ديوان **ناصيف اليازجي**. "الخداع، عدم الوفاء، التفاهة، القساوة، وظلم الدنيا" من الصفات والخصوصيات المشتركة الّتي تكرّرت عند **نظامي** في مخزن الأسرار وفي أشعار **ناصيف اليازجي**؛ وكلّ ذلك لتذكير المخاطب بالبعد عن الدنيا وعدم الاغترار بها.

وأحياناً نرى بأنّ **نظامي** و**ناصيف** يشيران إلى صفات الدنيا ومظاهرها الإيجابية ويصوّران الدنيا "مزرعة الآخرة " وذلك بالتأثّر الصريح من التعاليم الدينية. ويطرحان في هذا الصدد لزوم الإعداد لسفر الآخرة في هذه الدنيا. يبدو لنا بأنّ التعبير المعتمد من قِبل **نظامي** و**ناصيف** في ذمّ الدنيا؛ تعبير آمر، يتخلّله نوع من التهكّم؛ وهذا النوع من التعبير يرجع إلى معرفتهما العميقة بالنسبة إلى الدنيا وإدبارهما عنها.

ومن جهة أخرى، **نظامي** أكثر عناية بالبيان البلاغي والفنّي في التعبير عن أفكاره حول الدنيا؛ أمّا **ناصيف** فديدنه الأوّل والأخير هو التطرّق إلى موضوع "الدنيا والإدبار عنها" أكثر من التفاته إلى المظاهر الفنيّة في التعبير اللغوي. علاوه على ذلك، نشهد نوعاً من الإيقاع الشعري في أشعار **نظامي**، وهذا الإيقاع لم يأت لبيان أفكار الشاعر وآراءه فحسب، بل يصوّر لنا صيرورة الدنيا وسائر صفاتها المذمومة. أمّا شعر **ناصيف** فيصوّر لنا ببيان موقّر: استقامة الإنسان

ومثابرته أمام شدائد الدنيا ولزوم الإدبار عنها؛ كلّ ذلك من خلال توظيف الشاعر لموسيقى ثقيلة تتّسم بالعظمة والكبرياء.

قائمة المصادر والمراجع:

القران الكريم برواية حفص عن عاصم

- أبو الفضل جمال الدين محمد الأفريقي المصري، اللغة العربية، ج10، دار الصدر، بيروت، لبنان، ط1. 1410.

- أحمد بن محمد المسكوية، تهذيب الأخلاق وتطهير الاعراق، منشورات بيدار، قم، ط3. 1411.

- إسحاق طغياني، دليل كتاب مخزن الأسرار، جامعة أصفهان، أصفهان، ط1. 1420.

- الإمام على بن أبي طالب، الديوان المنسوب إلى الإمام على (ع)، مدرسة الإيمان، مصر، ط1. لا تاريخ.

- بديع الزمان فروزانفر، أحاديث وقصص مثنوي، أمير كبير، طهران، إيران، ط2. 1422.

- جاكلين، مقدمة في فلسفة الأخلاق، ترجمة: سيد أبو القاسم بور حسيني، أمير كبير، طهران، إيران، ط3. 1403.

- حسين رزمجو، الأنواع الأدبية وأعمالها بالفارسية، العتبة الرضوية المقدّسة، مشهد، إيران، ط1. 1411.

- خواجه ناصر الدين الطوسي، التذكرة الناصرية، تح: مجتبى مينافي وعلي رضا حيدري، خوارزمي، طهران، إيران، ط1. لاتا.

-_ _ _، أوصاف الأشراف، تح: سيد مهدي شمس الدين، منظمة الطباعة

والنشر بوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران، إيران، ط1. 1410.

– خيرية عجرش وكوكب بازيار، تأثيرات نصيف العزيزي، الأدب اللبناني المعاصر والحكمة السردية، فصليّة اللغة العربية (أبحاث في الأدب العربي)، المجلّد الجديد، السنة3، 1432.

– ر. ف. إنكسون، مقدمة في فلسفة الأخلاق، ترجمة: سهراب ألفينيا، مركز نشر الكتب، طهران، إيران، ط1. 1410.

– سعيد الشرتوني اللبناني، أقرب الموارد، منشورات مكسبة آية الله العظمى مرعشي النجفي، قم، إيران. 1403.

– سيّد جعفر سجّادي، قاموس المصطلحات والتفسيرات الغامضة، طهوري، طهران، إيران، ط7. 1424.

– سيروس شميسا، الأنواع الأدبيّة، مطبعة جامعة بيام نور، طهران، إيران. لاتا.

– طاهرة خوشحال دستجردي، انعكاس مفهوم الصبر القرآني في الأدب الصوفي الفارسي، جامعة أصفهان، أصفهان، إيران، ط1. 1425.

– عبد الكريم بن هوازن قشيري، ترجمة: أطروحة القشيري، تح: بديع الزمان فروزانفر، علمية وثقافية، طهران، إيران، ط7. 1422.

– عبد الحسين زرين كوب، عجوز كنجه في البحث عن مكان مجهول، سخن، طهران، إيران، ط4. 1420.

– على أكبر دهخدا، القاموس، مطبعة جامعة طهران، طهران، إيران، ط1. 1413.

– لويس بويمان، مقدمة في فلسفة الأخلاق، ترجمة: شهرام أرشدنيجاد، جول، طهران، إيران، ط1. 1419.

– ماجد رشيد بور، أصول الأخلاق الإسلامية، هجرة، قم، إيران، ط1. 1415.

– ماجد محمدي، النظم الأخلاقية في الإسلام وإيران، كافير، طهران، إيران، ط1. 1420.

– محمّد دشتي، نهج البلاغة، رامين، طهران، إيران، ط1، 1420.

– محمّد على التهانوي، اكتشاف المصطلحات الفنية والعلمية، مجلّدان، لا طبعة، بيروت، لبنان، ط1. 1416.

– محمّد على السادات، الأخلاق الإسلامية، المركز، طهران، إيران، ط6. 1409.

– ملا احمد نراقي، جماعة السعادات، ج1، ترجمة: سيد جلال الدين مينوي، حكمت، لامكان، ط4. 1407.

– منصور ثروت، كنز الحكمة في الأعمال العسكرية، أميركبير، طهران، إيران، ط1. 1411.

– ناصيف اليازجي، الديوان، ج1، تح: مروم أيود، دار مارون عايود، بيروت، لبنان. 1403.